الأهرام

المصدر: الرايه

التاريخ: ١٨ اغسطس ٢٠٠٢

وقفة تأمل فوق هضاب مشاكوس

محمد الأمين خليفة

طال أمد الحرب الأهلية بالسودان وأصبح سرد بواعثها ومسبباتها قولاً مكروراً لكن يجمل القول انها حصيلة تفاعل من عوامل طبيعية وسياسات استعمارية ماكرة وأخطاء وخطايا حكومات وطنية متعاقبة وتعنت قيادات جنوبية تأبى الوصول إلى الحلول السلمية إلا من خلال فوهة البندقية ومما جعل الوضع أكثر تعقيداً سكوت دول شقيقة وصديقة عن المساهمة بالتنمية والاستثمار وعزوف العون الدولي والغوث الانساني إلا بقدر الاستجابة للشروط المذلة.

في خضم هذا المأزق التاريخي والعكر السياسي لم تتسلح الحكومات المتعاقبة على حكم السودان بالاتحاد لتكسب القوة والمنعة والتحصين. فالاتحاد الوطني هو خط الدفاع الأول من الاخطار المحدقة بالبلاد فلم تضع ذلك في سلّم أولوياتها وعلى النقيض سعت بعض الحكومات في انتهاج سياسة الفرقة والانشقاق طمعاً في الاستفراد بالسلطة مما اضعفتها وأضعفت السودان الدولة من بعد وتسبب ذلك الضعف في إغراء الدول المتربصة أن تستغل الوضع الناجم عن تباعد خطوط القوى السياسية بالداخل فتلقى بالطوق على رقبة الحكومة وتحسبه غفلةً انه طوق نجاة.

لقد آلت موازين القوى والسيطرة العالمية إلى الغرب بعد أفول النجم الشرقي وصار المناخ السياسي العالمي أكثر ميلاً للعنف والحسم في فض النزاعات والصراعات في البؤر الملتهبة في العالم وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م أصبحت أميركا كالثعبان المقطوع الذنب فبدأت تسعى مع حليفاتها ليل نهار على تقنين مبدأ التدخل في الدول تحت سواتر ولافتات مختلفة باتخاذ سلسلة تدابير ذات الحلقات الثلاث.

الحلقة الأولى في سلسلة التعاطي السياسي من التدابير المتخذة هي مبدأ التدخل الناعم (smooth entery) بالعمل على ازالة اسباب نشوب القتال وفض النزاع لما لها من مصلحة حيوية وهي ذات السياسة الاستعمارية السابقة المتخذة عقب الحرب العالمية الثانية في ترسيم الحدود بقلم سايكوس البريطاني وبيكو الفرنسي من أجل نهب الثروات من الدول الغنية بالموارد الطبيعية لتكون الدول صغيرة الحجم قليلة العدد ضعيفة العدة ومهما كثر الدخل والايراد سيكون نصيب الدولة أقل مما بيدهم مستغلين شعاراً براقاً من ذلك هو شعار بناء السلم peace building.

أما الحلقة الثانية هي التدابير على تسوية النزاعات في حالة نشوب قتال أو اقتتال يضر بالاستراتيجية الموضوعة ويؤثر على الخطة المرسومة. فإذا كان القتال لا يصب في مجرى نهر السياسة العليا يجب ان يتوقف تحت مسمى المحافظة على السلم peace keeping-

أما الحلقة الثالثة والأخيرة هي استخدام التدابير القسرية باللجوء إلى العنف والعمل العسكري لتحقيق الغاية بتلك الوسيلة التي تنطوى على تقنين مبدأ التدخل بالقوة تحت مسمى فرض السلم Peace In-forcement وطبق هذا النهج ضد العراق وجزر الفوكلاند وليبيا وما الذي يجري بأرض فلسطين ببعيد.

تأمل حول الوساطة الجارية هنالك ثلاث درجات من الوساطة عند التفاوض من أجل الوصول إلى حلول سلمية في الحروب الأهلية أو الاقليمية.

أولاً الوسيط المعاون (Facilitator) الذي يقوم بتهيئة المناخ الصالح للتفاوض بصورة مريحة ويهيىء غرفة المفاوضات بالمعينات والتسهيلات اللازمة بغية الوصول إلى تسوية سلمية بين الاطراف المحاربة دون تدخل منه ويكون له فقط شرف الاشراف والمراقبة على المباحثات الجارية.

ثانياً: يليه درجة ذلك الوسيط الذي يكون داخل طاولة المفاوضات ويترأس الجلسات من فوق المنصة متوسطاً الفرقاء لا يفرض رأيه لكنه يسعى جاهداً في تقريب وجهات النظر بتسجيل نقاط الالتقاء والخلاف ثم يقرر ما اتفق عليه ويسجل ما اختلف حوله لاجراء مزيد من التفاوض ((Mediator

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

ثالثاً: أعلاها درجة هو ذلك الوسيط الذي يقوم بوضع جدول الاعمال بأجندة محددة ويدفع بالمبادرات وخيارات الحلول مكتوبة يجري عليها التفاوض ويتلقى ردود الافعال ويستخدم شتى الوسائل والحيل وتكمن مهارته في الصياغة اللغوية والقانونية بعبارات تحمل جملة معاني وحمالة أوجه((Negotiator فهو الذي يجري الآن بمشاكوس.

تأمل في الوسيط

يتكون منبر الايقاد من دول وشركاء وأصدقاء لكن اقتصرت الوساطة الحاسمة الاخيرة على اربع دول غربية هي (ايطاليا والنرويج والمملكة المتحدة والولايات المتحدة) لا ندري كيف تم الانتقاء والاختيار من بين الشركاء والاصدقاء ومن الذي اختار؟ ولماذا لم يشمل الاختيار دولاً ذات شراكة وصداقة وجوار وانتماء عربي وأفريقي واسلامي؟ وهل قدم اقتراح بهذا المعنى ومن من الاطراف تحفظ عليه؟

هذه اسئلة مشروعة تعين على المعرفة والمقصد. والجدير بالملاحظة عندما تكون الولايات المتحدة ضمن مجموعة الدول المساهمة في شأن الحرب أو السلام يكون لها القدح المعلى والتأثير الاقوى على مجريات الامور فلننظر إلى دورها ضمن مجموعة الدول الدائمة العضوية بمجلس الأمن، ودورها في المفاوضات السرية والعلنية كشريك سلام في المفاوضات الفلسطينية - الاسرائيلية ودورها في قرارات المؤسسات الاقتصادية العالمية ودورها في دول الحلف الاطلنطي ودورها ابان حرب الخليج مع قوات الحلفاء... الخ.

الوسيط والنفط

قبل ان يشرع السودان وينجح في استخراج نفطه كان السودان كماً مهملاً لم يسع إليه ابان محنته إلا الخلص من الاصدقاء. جاءت مبادرات صادقة من دول الجوار الافريقي والعربي ومن نيجيريا ومن جنوب افريقيا ومن ماليزيا لكن المبادرات كانت دوماً تصطدم بعقبات لم تقتحم وكأنّ هنالك أيد خفية تعبث وتبدد تلك الجهود المخلصة. بعد ان أصبح السودان أحد الدول المصدرة للنفط بكميات تجارية واكتشف فيه كميات مهولة في جوفه وصفت ببحيرة نفط(Sea of Oil) .

اتسعت رقعة الوساطة لتشمل من بعد دول الايقاد إلى الشركاء والاصدقاء لتكون قائمة المشاركة طويلة وواسعة ومن ثم يسهل الوصول إلى الكنز خاصة الاقوياء من الدول أمثال أمريكا وبريطانيا. وصل الجمهوريون إلى سدة الحكم في الولايات المتحدة في الانتخابات الرئاسية بعد سباق ماراثوني مجهد ومحموم لعبت الرأسمالية والشركات الكبرى واللوبي اليهودي في حسم النتيجة النهائية واعتلى اباطرة النفط مسرح السياسة في أميركا فمن هم؟

جورج دبليو بوش (الرئيس الأميركي) المدير العام لشركات آل بوش ورئيس مجلس الادارة لشركات آل بوش بتكساس (ولاية النفط).

ديك شيني (نائب الرئيس الأميركي) المدير العام لشركات آل بوش ببرايتون الرائدة في شركات النفط (الصناعات النفطية).

كوندا ليزا رايس (مستشارة الأمن القومي الأميركي) مدير عام شركة شفرون للتنقيب حتى عام ٢٠٠٠م وهي شركة النفط التي خسرت اكثر من مليار دولار في استكشاف النفط بالسودان.

جاك دنس (وزير التجارة الأميركي) المدير العام لأكبر شركة مساعدة بترولية (البتروكاميكال) للصناعات النفطية.

هؤلاء هم اباطرة النفط كانوا يسعون في امداد انبوب الغاز الطبيعي عبر الاراضي الافغانية للتحكم في اسواق المحروقات في آسيا وكادت المساعي ان تكلل بالنجاح لولا احداث الحادي عشر من سبتمبر التي افقدتهم كل أمل مرتجى.

تأمل حول بروتوكول مشاكوس

بعد لأي وطول انتظار تحصلنا على الاتفاق الموقع بواسطة ممثلي الحكومة والحركة الشعبية ومندوب سكرتارية الايقاد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

من الخارج عبر الفاكس. من خلال النصوص الواردة في الاتفاق وقراءة المتن بتمعن أحسب ان الوسطاء استفادوا كثيراً من ادبيات ومراجع سابقة. من الادبيات الظاهرة البصمات تلك الورقة المقدمة بواسطة الاستاذ ابل أليير في معهد النهضة الافريقي بلندن ثم تقرير السناتور دانفورث ومن المراجع: اتفاقية الخرطوم للسلام واتفاقية اديس ابابا. ومن الدساتير دستور جمهورية السودان ٩٨ اقتبست منه المباديء والدستور التنزاني في هيكل الدولة والدستور النيجيري في مسألة الدين والدولة وكذلك دستور جمهورية جنوب افريقيا وهذا التحليل ظنا وليس يقينا.

القانون الاعلى الوارد نصه هو الدستور القومي الذي تخضع له سائر القوانين الاخرى.

الشريعة الواردة في البروتوكول وردت كقانون ولائي وليست مصدراً اساسياً للتشريع في القانون الأعلى وقد خلا القانون الأعلى (الدستور القومي) من نص صريح بأن تكون الشريعة مصدراً اساسياً للتشريع في دولة اغلب سكانها مسلمون.

الصيغة التي وردت بها للاستفتاء من أجل تقرير المصير توحي بالانفصال فالوقت الذي تجري فيه الاستفتاء وقت ضروري ولازم والرقابة دولية عكس ما جاء باتفاقية الخرطوم للسلام حيث الوقت اختياري مربوط ومشروط بقيام تنمية والرقابة والارادة سودانية.

ان كلمة السيطرة التي جاءت في فقرة المباديء: المادة الثالثة.

The People of South Sudan have the right to control and govern.... etc

هذه كلمة control - تعني السيطرة الكلية على الحكم والادارة والأمن والموارد وهي عادة تذكر في نظم الحكم الكونفدرالي، على المفاوض الحكومي الاحتياط لها عند مناقشة التفاصيل في الجولة القادمة.

رغم المحددات والمهددات بالفشل إلا ان بارقة النجاح تكمن في الآتي:

أولاً: اشراك القوى السياسية في هذا الشأن العام والوطني المهم فالتطبيق على الارض يتم بالارادة السودانية المحضة وهذا امر يمكن تحقيقه لذوي النفوس الوطنية الكبيرة.

ثانياً: شمول الاتفاق النهائي على الحريات والديمقراطية والشورى والتداول السلمي للحكم.

ثالثاً: تقوية النص في شأن مسألة الدين والدولة وتقرير المصير فالذي اتفق عليه سابقاً غير مقنع مما عطّل التفاعل التام والمسيرات الجماهيرية.

أخيراً: عدم التعويل الكبير على الدور الخارجي في الشأن الداخلي الخطير ويجب الاستعانة بالله أولاً وأخيراً فإن أميركا لا تملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

■ **وزير سوداني سابق**

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية